

في استقبال عام آخر.. فرصة للتأمل والمراجعة



هي ختام السنة وقد اعتاد الناس أن يتوقفوا عند نهاية سنة من تاريخ معيّن ليستقبلوا بطريقة معيّنة سنة جديدة. ففي الفكر الإسلامي يمثّل الزمن عمرٌ وأنت تخطو مع الزمن لتستهلكه، وفي كلّ ساعة يموت شيء منك، وفي كلّ سنة تموت حقبة من عمرك، فنحن لا نموت دفعة واحدة لكننا نموت موتاً تدريجياً، لقد مات العمر الذي عشناه ونحن نستقبل عمراً جديداً، ولذلك شبّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الموت بالنوم كما شبّه البعث باليقظة «إنّكم لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون» يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) ممّا يروى عنه، عندما يستيقظ في الصباح: «لَكَ الحمد أن بعثتني من مرقدي ولو شئت جعلته سرمداً»، فالإنسان يُولد في كلّ يوم عند يقظته.

وعلى ضوء هذا فإذا كان الزمن يمثّل حركة عمرنا في حينه، فعلياً أن نحقق في مضمون هذا الزمن ماذا أخذ منّا وماذا حرّكنا فيه، وماذا قدّم لنا من فرص، وماذا انتهزناه من فرصة؟ هل عندما تقدّم الزمن بنا تقدّمنا؟ أو كان الزمن يتقدّم بنا ونحن نتأخّر؟ كما في بعض كلمات الإمام عليّ (عليه السلام): «فلينظر أحدكم أسائر أو أراجع» هل أنت تتخلّف أو تتقدّم؟ لأنّ مسألة التقدّم في الفكر والروح وفي الثقافة وفي حركة الحياة لا تُقاس بالساعات أو بالأيّام، إنّما تقاس بحجم ذاتك ماذا حملت؟ كان فكرك محدوداً فهل توسّع؟ كان قلبك مقفلاً فهل انفتح؟ كانت حياتك تتحرّك في ساحة ضيّقة فهل اتسعت تلك الساحة؟ أي هل أصبحت تتحرّك بشكل أوسع؟ ماذا فعلت وماذا تريد أن تفعل؟ ولذلك أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نحقق دائماً بالغد من خلال حسابات الأمس، وأن تكون حياتنا لحظة مع الله، لا غفلة عن الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنَظَرُوا مَا قَدْ قَدَّمْتُمْ

لِلْغَدِ) (الحشر/ 18).

ما هي حساباتك للغد؟ أن تدرس جيداً حساباتك التي قدمتها في كتابك عندما يقدم إليك الكتاب (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عِلَالِيكَ حَسِيباً) (الإسراء/ 14). فلابدّ لنا، فيما يريد الله لنا أن نتحرّك، أن نقدّم للغد شيئاً، قد تكون الكلمة واردة فيما قدّمت لنفسك (وَمَا تَقْدَرُ مَوْا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) (البقرة/ 110). ولكنك كنت شخصاً تعيش مع الآخرين، ومندمجاً مع الآخرين فأنت لم تعيش وحدك بل أنت جزء من عائلة، جزء من محلّة، جزء من

مجتمع، جزء من أُمَّة، ولذلك ماذا قدّمت لغدٍ في مسؤوليتك عن نفسك؟ وماذا قدّمت لغد في مسؤوليتك عن عائلتك؟ وماذا قدّمت لغد في مسؤوليتك عن مجتمعك؟ وفي مسؤوليتك عن أُمَّتك؟ وفي مسؤوليتك عن أمة قضية تملك مسؤولية التحرّك فيها. (وَآتَوْا أَمْثَلًا) بعدما تعرفون ماذا أنتم فيه (إِنَّ سَاءَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)، اتقوا الله وحاسبوا أنفسكم فيما قدّمتموه، واتقوا الله ثانياً بعد أن تعرفوا ما قدّمتموه، اتقوا الله لتعرفوا ماذا تقدمون (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا آيَاتَهُمْ فَآتَوْا نَسَاهُمْ أَنْزَفُوهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر/ 19).

لا بدّ أن تكون نهايات السنين كنهايات الشهور وكنهايات الليالي والأيام فرصة للفكر وفرصة للحساب، لأنّ مشكلتنا أنّنا قد نعرف كلّ الناس من حولنا ولكننا نجهل شيئاً أساسياً إنّنا نجهل أنفسنا، فلو سألك أي سائل عن صديقك أو قريبك فإنّك تقضي اليوم في الحديث عنه ولا تنتهي، ولكنّه لو سألك إنسان نبذة عن نفسك؟! ما هي أفكارك؟ ما هو خط عاطفتك؟ ما هي خطوط انتمائك؟ ما هي أسس علاقتك؟ ما هي نظرتك لمستقبلك؟ هل تملك أن تجيب؟

لذلك، لا بدّ أن يكون الزمن نابعاً منّا، حيّاً، منفتحاً، مسؤولاً، متحرّكاً، وأن لا نشعر بالزمن كعبء عندما يقول بعضنا لبعض ولا سيّما في ليالي الشتاء الطويلة: تعالوا لنقتل الوقت، لنضيّع الوقت، فهل الوقت خصم تريد أن تقتله، تريد أن تقطّعه وتمزّقه؟. إنّ هذه التعابير تدلّ على خلفيّة ذهنية الأُمَّة وقد لا تجدها عند الأمم الأخرى لأنّها تحترم الزمن باعتبار أنّّه يمثل فرصتها للإنتاج، وفرصتها للتقدّم.